الفلسطينيون في إسرائيل

قراءات في التاريخ، والسياسة، والمجتمع

نديم روحانا أريج صبّاغ-خوري
محرّران

مدى الكرمل

الفلسطينيون في إسرائيل: قراءات في التاريخ، والسياسة، والمجتمع
تحرير: نديم روحانا وأريج صباغ-خوري

الجزء الأول والجزء الثاني

The Palestinians in Israel: Readings in History, Politics and Society
Edited by: Nadim N. Rouhana and Areej Sabbagh-Khoury

تدقيق لغوي: ناجح أبو شمسيّة
تصميم وإنتاج: وائل واكيم

لوحة الغلاف: «كانتونات» للفنان نبيل العناني.
«كانتونات» تشير إلى التقسيمات التي آل إليها الفلسطينيون وفلسطين بعد الاحتلال الإسرائيلي.
نبيل العناني: فنان تشكيلي، وُلد في قرية اللطرون (فلسطين) عام 1943.

ISBN: 978-3-23-7308-965

© كل الحقوق محفوظة (2015)
مدى الكرمل- المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية
اللنبي 51، ص.ب. 9132، حيفا 3109101
هاتف: 04-8552035، فاكس 04-8525973

www.mada-research.org
mada@mada-research.org

الفلسطينيون في إسرائيل

قراءات في التاريخ، والسياسة، والمجتمع

نديم روحانا أريج صبّاغ-خوري

محرّران

2015

مدى الكرمل

المركز العربي للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة

حركــة الأرض

لينــا دلاّشة *

حركة الأرض هي حركة سياســـيّة أسّسها، في العام 1959، مجموعة من المواطنين الشبّان الفلســـطينيّين من ذوي الميول القوميّة والعروبيّة. نشـــطت هذه الحركة منذ العام 1959 حتّى العام 1965، حيث قامت الحكومة الإسرائيليّة بحظر نشـــاطها، وزجّت بالكثير من أعضائها في الســـجون، وأبعدت آخرين من بيوتهم، ونفتهم إلى مناطق داخل الدولة. خلال فترة قصيرة من نشـــاطها، أصدرت الحركة جريدة مرّة كلّ أسبوعين، وتمكنت من نشر 13 عدداً في العامين 1959 وَ1960. على الرغم من ذلك، استُنزفت طاقات الحركة في شنّ معارك قضائيّة لنَيْل مكانة قانونيّة داخل المنظومة الإسرائيليّة. في ســـياق خمسينيّات وستّينيّات القرن العشرين، يمكن النظر إلى «حركة الأرض» كجزء من حركة أيديولوجيّة واســـعة في العالم العربيّ. علاوة على ذلك، كان للحركة اهتمامات محلّـــيّة. هذا المزج بين الأيديولوجيا القوميّة العربيّة، وقضايا ذات اهتمام خاص من قبل مواطني إسرائيل الفلسطينيّين، أضفى على «حركة الأرض» طابعاً خاصّاً ومتفرّداً.

خلفيّة

أُسّســـت «حركة الأرض» في العام 1959، أي بعد مضيّ 11 عاماً على نكبة الفلسطينيّين. لم تُفْضِ النكبة إلى تهجير الســـواد الأعظم من الفلسطينيّين داخل حدود دولة إسرائيل الفتيّة فحسب، بل أفضت كذلك إلى خسارة «الطبقة السياسيّة» التي تكوّنت من قادة فلسطينيّين ومثقّفين وســـكّان المدن (Sayigh, 1997). بالإضافة إلى صدمـــة النكبة، كان المواطنون الفلسطينيّون ما زالوا يقبعون تحت وطأة الحكم العسكريّ الذي سيطر بقبضة من حديد

* د. لينا دلاّشة هي أستاذة مساعدة في دائرة التاريخ في جامعة ولاية هومبولدت، كاليفورنيا.

على جميع المناحي الحياتيّة، وأضاف ضغوطاً هائلة على الحياة السياسيّة في المجتمع.

في منتصف الخمسينيّات، عزّز المواطنون الفلسطينيّون من حِراكهم القوميّ، مستلهمين في ذلك انقلابَ الضبّاط الأحرار في مصر في العام 1952 بقيادة جمال عبد الناصر. المدّ الثوريّ في مصر ضخّ المزيد من الحياة في النزعة القوميّة العربيّة، لا سيّما بعد حرب السويس (العدوان الثلاثيّ) في العـــام 1956، الحرب التي برز عبد الناصر من خلالها كبطل الحقوق العربيّة ومناهضة الإمبرياليّة. في هذا السياق، أسّست مجموعة من القوميّين «حركة الأرض»، معتبرة نفسها جزءاً من «اليقظة السياسيّة» العربيّة. منضوين تحت راية القوميّة العربيّة والوحدة، سعى قادة الحزب إلى تدعيم الحِراك القوميّ العربيّ وحماية حقوق الأقلّـيّة الفلسطينيّة في إسرائيل (كلمة التحرير، هذه الأرض، 5/10/1959، ص. 1).

في البداية، التحق أعضاء «حركة الأرض» بالجبهة الشـــعبيّة، التي تأسّست في العام 1958، وشـــكّلت مظلّة تحالف لفلســـطينيّين مواطنين في إسرائيل كردّ فعل على القمع التعسّفيّ لاحتجاجات الفلســـطينيّين في الأوّل من أيّار من السنة ذاتها، وفي الوقت الذي احتفلت فيه إسرائيل بمرور عَقد على إقامتها. ضمّت الجبهة الشـــعبية نشطاء شيوعيّين وقوميّين عملوا يداً بيد على إنهاء الحكم العســـكريّ ومكافحة جميع أشـــكال التمييز، بما في ذلك عمليّات المصادرة الواسعة للأراضي، ودعم حقّ العودة للاّجئين الفلسطينيّين. إلا أن الجبهة شهدت انشقاقاً، في العام 1959، بسبب التوتّر بين الشيوعيّين والقوميّين في أرجاء العالم العربيّ، لا سيّما بين مصر والعراق (Dallasheh, 2010).

الحركة

أسّـــس الأعضاء القوميّون في الجبهة الشعبيّة، المنشـــقة، «حركة الأرض» في اجتماع عُقِد في الناصرة في نيســـان من العام 1959. كحركة قوميّة، تبنّت «الأرض» الأيديولوجيّة الناصريّة وَ«الاشتراكية العربيّة» (Qahwaji, 1978)، واعتبرت أنّ الطريق إلى تحرير فلسطين تمرّ عبر الوحدة العربيّة. قرّر الأعضاء في هذا الاجتماع –في ما قرّروا– إصدار صحيفة بغية نشر أفكارهم، واختاروا «الأرض» اسماً لها للإشارة إلى التصاق العرب بأرضهم (Baransi, 1981).

بعـد محـاولات متكـرّرة للحصـول عـلى ترخيـص مـن السـلطات الإسرائيليّـة لإصـدار صحيفـة، قـرّرت «حركة الأرض» اسـتغلال ثغـرة في مرسـوم الصحافة تسـمح بإصدار أعـداد منفـردة دونما حاجـة إلى طلب ترخيـص. أصـدرت الحركة بضعة أعـداد منفردة بأسـماء مختلفـة، لكنّها تضمّنت، على الـدوام، كلمةَ «الأرض»، كمـا أُوكِلَ بالتحرير، في كلّ نشرة، محـرّرٌ متبـدّلٌ (Qahwaji, 1978).

عكسـت لغة ومضامين الصحيفة أيديولوجيّة الحركة. عرضت الصحيفة تقارير متعاطفة حول الأحداث في مـصر، وغطّت المشروع القوميّ العربيّ، وقدّمـت تحليلات أيديولوجيّة للحرب الباردة، وانتقدت السياسـات الإسرائيليّة؛ وكلّ ذلك من خلال تسليط ضوء مركزيّ على أوضاع مواطني إسرائيل الفلسطينيّين. من خلال التشديد على قمعيّة الحكم العسكريّ وممارسـاته التعسّـفيّة، أجرت الصحيفة تحقيقات حول إجراءات الحكومة الإسرائيليّة التعسفيّة لقمع واقتلاع المواطنين الفلسطينيّين، سواء أكان ذلك من خلال مصادرة الأراضي، أم عبرَ فرض القيود على التنقّل، أم من خلال ممارسـة العنـف تجاه العرب. علاوة على ذلك، أدرجت الصحيفة تقارير حول المشـاكل الاقتصاديّة التي تواجهها الصناعة والزراعة العربيّتان، كما تعرّضـت لضعف جهاز التعليم العربيّ، وللمحاكمات على ضوء المواجهات مع قوات الأمن الإسرائيليّة. قامت الصحيفة، كذلك، بتحليل الانتخابات الإسرائيليّة، وطرحت دعوات قويّة لمقاطعتها، وشـنّت هجوما كاسحاً على الأحزاب الصهيونيّة، وانتقدت الحزب الشيوعيّ الإسرائيليّ بحدّة بالغة (أمنا الأرض، 1959/10/14).[1] بعد إصدار العدد الثالث عشر، أمرت السـلطات الإسرائيليّـة الصحيفة بالتوقّف عن الصدور، واعتقلت سـتّة من محرّريها وحاكمتهم. اسـتأنفت الحركة على قرار المحكمة الابتدائيّة (محكمة الصلح) إلى المحكمتين المركزيّة والعليا، اللتين رفضتا الاسـتئناف؛ وفرضت المحكمة العليا على كلّ من المحرّرين غرامة تتراوح بين 750 وَ1000 لـيرة إسرائيليّة (واعتُبِرت غرامة باهظة في تلك الأيام بسبب الوضع الاقتصاديّ الصعب آنذاك). إلى ذلك، حُكم على جميع المحرّرين بالسجن

1 الحزب الشـيوعيّ الإسرائيليّ هو الحزب غير الصهيونيّ الوحيد الذي مثَّلَ الفلسـطينيّين في الكنيسـت ودافع عن حقوقهم خلال العقد الأوّل بعد العام 1948. بحلول العام 1956، أصبح هذا الحزب القوّة البارزة في صفوف هذا المجتمع. للمزيد حول الحزب الشيوعيّ الإسرائيليّ، انظروا: (Beinin, 1990).

لثلاثة أشهر مع وقف التنفيذ (استئناف جنائيّ 60/228، قرار حكم 14، ص. 1929).

قضت حركة الأرض (وضمّت في عضويّتها مثقّفين ومحامين وطلّابَ حقوق) السنوات القليلة التالية في محاولة للحصول على مكانة قانونيّة في إسرائيل. قام أعضاؤها بتأسيس دار نشر تجاريّة في العـــام 1960، وعاودوا الكَرّة في طلب إصدار صحيفـــة، وأقاموا جمعيّة تعمل على الترويج لأهدافهم.[2] في نهاية المطاف، أسّســـوا حزباً سياسيّاً وحاولوا الترشّح للكنيست الإسرائيليّ في العام 1965. خلال هذه الســـنوات الخمس، التمس أعضاء حركة الأرض ستّ مرّات للمحكمة العليا (Dallasheh, 2010).

بالإضافة إلى نشاطاتها القضائيّة في إسرائيل، توجّهت «حركة الأرض» إلى مؤسّسات دوليّة، وعلى وجه التحديد للأمم المتّحدة وســـفارات أجنبيّـــة في إسرائيل (Qahwaji, 1978). في حزيران من العام 1964، وجّهت الحركة رســـالة إلى الأمم المتّحدة تناولت فيها انتهاكات إسرائيل لحقوق الفلسطينيّين الاجتماعيّة والسياسيّة داخل حدودها، واستعرضت التعامل مع الحركة كدليل على السياسات التمييزيّة. وبعد استعراض التمييز الإسرائيليّ وانتهاكات الحكم العسكريّ للحقوق والحرّيّات، طلبت الرسالة حماية الأمم المتّحدة. أشارت الحركة، في رسالتها، إلى المسؤوليّة الملقاة على عاتق الأمم المتّحدة المنبثقة عن قرار التقسيم (الأرض، غير مؤرّخة، كما عثر عليها في ISA/RG130.2/4326/10).[3]

على الرغم من استنزاف النشاط القضائيّ جُلَّ قدراتها وطاقاتها، واصلت الحركة محاولاتها لتوســـيع قاعدتها من خلال تأســـيس فروع جديدة، وعقد الاجتماعات، واستقطاب الدعم عبر قنوات مختلفة، مثل الشركة التي قامت بتأسيســـها. أسّست «حركة الأرض» فرعاً فائق النشاط في القدس، ارتبط نشاطه بلجنة الطلّاب العرب في الجامعة العبريّة، وأسَّست فروعاً أخرى في العديد من القرى والمـــدن في الجليل والمثلّث (Miari, 2005; Sigaut, 2001, p.

2 اعتمـــدت إسرائيل قانـــون الجمعيّات العثمانـــيّ الصادر في العـــام 1909، وبقيت تعمل بحســـبه حتّى العام 1980. المادّة الأولى من القانون تعرّفُ الجمعيّةَ بأنّها: "مجموعة من الناس يجمّعون معارفهم أو نشـــاطهم لوقت متواصل بغية تحقيق أهداف غير ربحيّة". حركة الأرض -كمجموعة سياسيّة- تندرج ضمن هذا التعريف.

3 على الرغم من عدم ربط طلب الحماية بخطّة التقســـيم، جرى تناولها عند التشـــديد على مسؤولية إسرائيل تجاه المواطنين الفلسطينيّين، وكذلك كجزء من أهداف الحركة. راجعوا: شركة الأرض م.ض. (غير مؤرّخ)، رسائل للأمم المتحدة كما عُثر عليها في: ISA/RG130.2/4326/10.

(59. من خلال هذه النشـــاطات، نمّت «الأرض» جمهوراً واســـعاً، وتواصلت معه، وعزّزت قاعدتها، على الرغم من عدم توافر ســـجلاّت دقيقة حول عدد أعضائها. ضمّت الحركة نواة صُلبة من الناشطين، من بينهم: حبيب قهوجي، ومنصور كردوش، وصبري جريس، وصالح برانسي، والتفّ حولهم عشراتُ الناشطين (Sigaut, 2001 ; Dallasheh, 2010).

ردّة فعل الحكومة

منذ نشـــأتها، قضّت «حركة الأرض» مضاجعَ الدوائر الحكوميّة. في مطلع أيلول من العام 1959، أوصى مستشـــار الحكومة للشؤون العربيّة حكومته بإحباط نشاطات الحركة قبل أن تتحوّل إلى «البيت الطبيعيّ للمواطنـــين العرب في البلاد» (LPA 2-920-1958-18, 1959 ، مقتبس لدى: بويمل، 2002). جاء ردّ الحكومة سريعاً وحاســـما، إذ رفضت، في العام 1959، طلـــبَ الحركة الحصول على رخصة لإصدار صحيفة.[4] وعندما قامت «حركة الأرض» بإصدار الأعداد المنفردة، أوقفـــت الحكومة إصدارها، وصادرت معدّاتها، وأحالت المحرّرين إلى المحاكمة. قامت الحكومة، كذلك، بممارسة الضغوط على أعضاء الحركة للكفّ عن النشـــاط، وهدّدتهم بحرمانهم لقمة عيشهم، وتقييد تنقُّلهم، كلّ ذلك ابتغاء ثَنْيِهم عن ممارسة نشاطاتهم السياسيّة (Sigaut, 2001; Dallasheh, 2010).[5]

حاولت الحكومة، كذلك، منع تأســـيس شركة دار النـــشر «الأرض»، واضطُرّت الحركة إلى التوجّه إلى المحكمة العليـــا مرّتين بغية الحصول على رخصة التســـجيل. وعلى الرغم من هذا الانتصار، بقي منع الحركة من إصدار صحيفتها ســـارياً. وأيّدت المحكمة العليا قرار الحكومة عدم منح ترخيص إصدار الصحيفة لـ«حركة الأرض» (قرار المحكمة العليا رقم 64/39، ص. 340). في العام 1964، رفضت الحكومة تسجيل الحركة كجمعيّة عثمانيّة، ولقي هذا القرار أيضـــاً مصادقة المحكمة العليا. على ضوء قرار المحكمة، جرى الإعلان عن

4 راجعوا، على ســـبيل المثال، رســـالة مفتوحة لحركة الأرض تحتجّ فيها على رفض المسؤول اللوائيّ منح ترخيص لصحيفتها: سروجي. م. خطاب مفتوح (1960/1/25). ندى الأرض [13]، ص. 5.

5 راجعوا بعض النقاشـــات حول السياســـات الحكوميّة تجاه أعضاء الحركة في: افتتاحيّة (1960/1/4). كلمة الأرض، غيث الأرض [11]، الصفحتان: 1 و6).

الحركة منظَّمة غير قانونيّة، وأُلقِيَ القبض عـــلى أعضائها، ونُفِيَ بعضهم من بلدانهم إلى مَنافٍ داخل البلاد، ونُبشـــت المنازل، وصودرت الوثائـــق (ملفّ المحكمة العليا 253/64، ص. 673). في نهاية المطاف، وعندما اعتزم أعضاء الحركة الترشُّـــح لانتخابات الكنيست، في العام 1965، تحت اسم «الحزب الاشـــتراكي»، مُنع الحزب من المشاركة في الانتخابات، وجرت ملاحقـــة الأعضاء (Qahwaji, 1978). التمس أعضاء الحركة للمحكمة العليا ضدّ شطب قائمتهم، لكن المحكمة صادقت على السياسة الحكوميّة، وادّعت أنّ للدولة، على الرغم من عدم توافر قاعدة قانونيّة لشطب الحزب، حقّاً أساسيّاً في حماية نفسها من تآمر حركة الأرض ضدّ الدولة. وحدَّدَ رئيس المحكمة «أغرانات» في معرض قراره أنّه، على الرغم من أنّ حرّيّة التنظُّم تُشـــكِّل جزءاً لا يتجزّأ من النظام الديمقراطيّ، إلا إنّه «لا نظام حرّ سيمدّ يده واعترافه لحركة تتآمر على النظام ذاته» (التماس انتخابات 65/1، 1965، ص. 365).

في واقع الأمر، لقد منحت المحكمة العليا دعماً محـــدوداً للحرّيّات الديمقراطيّة في عدد من قراراتها المتعلّقة بـ«حركة الأرض»، لا ســـيّما تلك الحـــالات المتعلّقة بشركة الأرض؛ لكن غالبيّة قراراتها حول الأنشـــطة السياسيّة جسّـــدت ريبة إسرائيليّة عميقة تجاه المواطنين الفلســـطينيّين. إذ تخلت قرارات المحكمة عن الدفاع عن حقوق الفلســـطينيّين الأساسيّة، وسمحت للحكومة بمواصلة تَسلُّطها على الأقلّـيّة العربيّة.

خاتمة

تشكّل حركة الأرض مثالاً على المقاومة السياسيّة والحشد في صفوف المواطنين الفلسطينيّين في إسرائيل لحماية هُويّتهم وحقوقهم، بينما لا يزالون يعايشـــون صدمة النكبة ويرزحون تحت نير الحكم العسكريّ. عبّر أعضاء «حركة الأرض» عن قدرة عالية على الصمود وابتكار السبل الخلاّقة، واســـتنفدوا جميع الأدوات والثغرات القانونيّة الممكنة في مسعاهم لتحدّي الادّعاءات الإسرائيليّة حول الديمقراطيّة والتأكيد على هُويّتهم القوميّة العربيّة ومواطَنتهم.

على الرغم من تمثيل «حركة الأرض» لأجِنْدتها السياســـيّة بسبل قانونيّة ومشروعة، كونها عمدت إلى تغيير السياســـات الإسرائيليّة بالطرق الديمقراطيّة، إلاّ أنّ الحكومة الإسرائيلية تعاملت معها كتهديد لوجود دولة إسرائيل، وعمدت إلى القضاء على المشاريع التي لا تتماشى مع المشروع الأيديولوجـــيّ الصهيونيّ لدولة إسرائيل؛ لذا من الطبيعي أن يتعارض موقف «حركة الأرض» مع النظام الحكوميّ. المعاملة القاســـية التـــي كانت من نصيب الحركة لـــم تنبع من أيّ تهديد أمنيّ فعليّ، ولم يُثبِـــت أيٌّ كان -حتّى يومنا هذا- أنّ حركة الأرض ابتغت استخدامَ القوّة، أو أنّها بنت علاقات مع أيّ من المنظّمات التي شنّت هجمات مسلّحة على إسرائيل، كحركة التحرير الفلســـطينيّة «فتح»، أو أيّ مـــن فصائل منظّمة التحرير الفلســـطينيّة الأخرى. شكّلَ قمع الحركة جزءاً من آليّة القمع الحكوميّة الإسرائيليّة لغرض ترسيخ هيمنتها وتحكُّمها بالمواطنين الفلسطينيّين، من خلال منعهم من ممارسة حقوقهم السياسيّة والتعبير عن طموحاتهم القوميّة ومطالباتهم بالمواطنة.

من اللافـــت أنّ القمع الذي عانت منه «حركة الأرض» تجاوز القمعَ الذي عانى منه الحزب الشـــيوعيّ، على الرغم من أنّ المجموعتين تقاسمتا مواقف سياسيّة عديدة؛ إذ نادت كلتاهما بحقّ تقرير المصير للفلســـطينيّين، وبحقّ عودة اللاجئين الفلســـطينيّين، ونادت كلتاهما إسرائيل بـــأن تقطع علاقاتها مع القوى الإمبرياليّة. وعلى الرغم من الملاحقات والقمع الذي كان من نصيب أعضاء الحزب الشـــيوعيّ الإسرائيليّ، ولا ســـيّما الفلسطينيّين منهم، فإنّ الحزب مُنح حيّزاً ضيّقاً للمعارضة. قد يُعزى الأمر إلى الطبيعة العربيّة- اليهوديّة للحزب، والتي حالت دون إقصائه السياسيّ التامّ، وكذلك إلى الحذر الذي توخّاه الحزب الشيوعيّ في

خطابه وأفعاله.

على الرغم من تفكيك «حركة الأرض» قانونيّاً ومؤسّساتيّاً في العام 1965، إلاّ أنّ أيديولوجيّتها المؤسِّسة وتأثيرَها السـياسيّ وإلهامها بقوا أحياء. رفعت «حركة الأرض» الوعي السياسيّ، وفضحت وسائل إسرائيل القمعيّة، وساعدت في منح الأجيال القادمة قادةً شبّاناً نشطوا في حلبات وجبهات مختلفة. ليـس من المفاجئ، إذاً، أن يَعتبر الكثير من المجموعات والأحزاب الفلسطينيّة اللاحقة نفسه يسـير على خطى «حركة الأرض»، ومن هذه المجموعات نذكر حركة أبناء البلد، وحزب التجمّع الوطنيّ الديمقراطيّ، وحركات سياسيّة قوميّة أخرى.

المَراجع

العربيّة

سروجي، محمود (1960/1/25). خطاب مفتوح. **نداء الأرض** [13]، ص. 6.

سيغاوت، ســـماريون (2001). **منصور كردوش: رجل صالح من الناصرة**. الناصرة: المؤسّسة العربيّة لحقوق الإنسان.

قهوجي، حبيب (1978). **القصّة الكاملة لحركة الأرض**. القدس: منشورات العربيّ.

كلمة التحرير (1959/10/5). كلمة الأرض. **حديث الأرض** [1]، الصفحتان: 1 وَ 6.

كلمة التحرير (1959/10/14). كلمة الأرض. **أمّنا الأرض**، [4]، ص. 1.

كلمة التحرير (1960/1/4). كلمة الأرض. **غيث الأرض** [11]، الصفحتان: 1 وَ 6.

ميعاري، محمّد (2005/8/8). مقابلة مع المؤلّفة. حيفا.

الإنجليزيّة

Baransi, S. (1981). Oral history: The story of a Palestinian under occupation. *The Journal of Palestine Studies, 11*(1), 3–30.

Beinin, J. (1990). *Was the red flag flying there?: Marxist politics and the Arab-Israeli conflict in Egypt and Israel, 1948-1965.* Berkeley: University of California Press.

Dallasheh, L. (2010). Political mobilization of Palestinians in Israel: The al-Ard movement. In R.A Kanaaneh& I. Nusair (Eds.). *Displaced at home: Ethnicity and gender among Palestinians in Israel* (pp. 21–38). Albany: State University of New York Press.

Sayigh, Y. (1997). *Armed struggle and the search for state: The Palestinian national movement, 1949-1993.* Oxford, England: Oxford University Press.

العبريّة

بويمل، يئير (2002). تعامل المؤسّســـة الإسرائيليّة مع العرب في إسرائيل: السياســـات والمبادئ والأنشطة: العَقد الثاني، 1958-1968. حيفا: دراسة دكتوراة-جامعة حيفا.